اليتيم

للشاعر العراقي الاستاذ أحمد الصافي النجفي

مترجم رباعيات الخيام

أودى الردى بأبيه قبل فطامه ... فحسا المذلة فى حليب الرضع
مستسلم والرعب يملأ قلبه ... إذ لم يجد عند الأذى من مفزع
فتراه يلعب فى الزقاق وطالما ... من صحبه يمنى بضرب موجع
فيجيء يشكو ضاربيه لأمه ... فتجيب شكواه بجارى الأدمع
فيقول أين أبى ؟ فتدعو غائب ... فيقول غاب ! فما له لم يرجع ؟
فتظل واجمة وليس تجيبه ... إلا بزفرة قلبها المتوجع

***

ولربما وجد الحنان من امرىء ... فدماه أنت أبى وكنت مضيعى
أبتاه خذنى واشر لى دراجة ... أعدو بها عدو النشيط المسرع
وائأر من الأطفال لى واضربهم ... وليتقونى إن رأوك أبى معى
ويظل يلثم ركبتيه توسلا ... متمسكا فى ذيله بتضرع
فيجيبه هذا بثغر باسم ... وعيونه تهمى كسحب هميع
ويقول سوف أجيء بيتك فى غد ... ويعد نحو الطفل كف مودع

***

لهفى لطفل لا يزال يعيش فى ... أمل بكف الحادثات مضعضع
ولقد يقول له الصغار بأنه ... قد مات عنه أبوه قبل وما يعى
فيجيء يركض كى يسائل أمه ... والنار فيه تشب بين الأضلع
فتكذب الأم الحنون مقالهم ... وتقول لا تجزع ولا تتفجع

***

ولكم يرى الأطفال مع آبائهم ... متمتعين بهم وأى تمتع
يشرون مانهواه أنفسهم لهم ... والطفل إن يأمر أباه يسمع
فيغار منهم ثم يركض خلفهم ... لكنه إن يدن منهم يردع
فيظل يرمقهم بطرف دامع ... ويعود منهم فى حشى متقطع

ويعود للصبر الجميل لأنه ألف الشقا وبسعدهم لم يطمع

***

متذلل لم يدر علة ذله أو مر وطأة سره المتجمع
تعيي الرجال عن الخطوب وحملها كيف احتمال الخطب للمترعرع
ترنو الأنام له بعين تعطف لا في عيون تودد وتولع
حتى الكرام ترى اليتيم لديهم يبدو بلا سبب بقدر أوضع
ولقد تراه إلى يتيم جالسا متفاهمين بروح ذل مخضع
متباعدين عن الصغار كأنما حسبا هم نسلا لجنس أرفع

***

أما إذا افترقا فكل منهما يدنو لهم خوف انفراد مفزع
لكن تراه كالغريب أمامهم يرنو لهم كالسائح المتطلع
وإذا أراد الاشتراك بلعبهم لم يلق منهم غير سب مقذع
ولكم يرى لعبا لدى مستودع فيردد الزفرات للمستودع
لعب تمنى لو يطيق شراءها ليعيد بهجة قلبه المتصدع
فيطوف في الأسواق ثم يعود في قلب على اللعب الصغار موزع

***

ولربما ركب العصا دراجة ليسد رغبته بوهم مقنع
ولقد تخيط الأم أثواب له فصلن من ثوبي أبيه الأروع
أو قصرتها من طويل قبائه أو ضيقتها من رداه أوسع

***

يزهو الصغار بزاهيات ثيابهم ويلوح ذا من برده بمرقع
ويروم أن يخفي حياه مكابرا فيدير فيهم نظرة المترفع
يروي لهم ما حدثته أمه عن برد والده الذكي الألمعي
ويقول كان الثوب هذا خلعة لأبي حباه بها مليك لوذعي
والصحب تهزأ فيه غير كئيبة منه لقلب في الحياة ملوع

***

ليت الصغار جميعهم لم يعرفوا آباءهم وربوا معا في موضع
كي لا يصيب اليتم بعضا منهم فيعيش عيشة بائس متكع